الوعي التّاريخي في فكر العلّامة عبد الحميد بن باديس

Historical awareness in the thought of the scholar Abdul Hamid ben Badis

د. كوثر هاشم
جامعة الشّهيد حمّه الأخضر/ الوادي
Hachemkaouthar26@gmail.com

تاريخ الاستلام:2020/08/18 **تاريخ القبول**: 2020/08/21 **تاريخ النشر**: 2020/08/21

ملخص بالعربيّة:

يندرج هذا البحث ضِمن دراسة الفكر الباديسي، حيث سيسلّط الضّوء على جزئيّة تعدّ من أهمّ أسس بناء الذّات الإنسانيّة، ألا وهي مسألة الوعي التّاريخي وتأثيره في الفرد والمجتمع خاصّة مع اشتداد ممارسة الاستعمار الفرنسي لعمليّات التّعتيم والمسخ الثّقافي لكلّ ما يخصّ المجتمع الجزائري، دينيّا ولغويّا وتاريخيّا وسعيِه لإحداث الشّرخ فيه، تمهيدا لتحقيق التّفرقة العِرقيّة، وخلق مجتمع مُتفرنِس يذعن لهيمنته دونما مُغالبة فتواصل بذلك صِراع البقاء بين المستعمِر والمستَعمَر وتعدّدت أساليب مقاومة الجزائريين وقادتهم، وكان من بين ما اختاره المِصلح والعلّامة ابن باديس لذلك هو العودة للتّاريخ، ومراجعته وفهمه، والذّود عنه، والاستفادة منه، إذ يُعدّ الذّاكرة الحيّة للأمّة، وحافِظ حضارتها وكينونتها، ومفتاحها لتوثيق أحقيّتها في أرضها، ودرع حماية لها ولهويّتها من النّسف والزّيف، والضّياع، وضمانا لبقائها واستمراريّتها..

وعليه سنركّز في صياغة هذا الموضوع على أربع نقاط رئيسيّة أوّلها؛ ماهية الوعي بالتّاريخ عند الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ والثّانية مظاهر اهتمامه به ومجالات توظيفه؛ في التّعليم والصّحافة والخُطب، ثمّ تحديد فائدة قراءته وتدارُسه، متجلّية في إحياء الذّاكرة الوطنيّة، وتعزيز وحدة الجزائريّين، وإحداث نهضة الأمم والشّعوب، وتثقيف طلبة العلم وتنوير عقولهم، وأخيرا الوقوف على دوره في الكتابة التّاريخيّة.

الكلمات الدالة: تاريخ، ابن باديس، وعي، هويّة، ذاكرة وطنيّة.

Abstract:

This research is part of the study of Badisy thought .As it will shed light on a part that is considered one of the most important foundations for building the human self. That is, it is the issue of historical awareness and its impact on the individual and society, Especially with the intensification of French colonialism to practice obscuring and cultural distortion of everything related to Algerian society, religiously, linguistically and historically, and it try to create a rift in it.in preparation to achieving ethnic discrimination, and creating a society that would submit to its hegemony without overcoming it. Thereby, continuing the struggle for survival between the colonist and the colonized. There were many resisting methods of the Algerians and their leaders, among the things that the reformer and scholar Ben Badis chose for this was to go back to history, review it and understand it, to defend it and to take the advantage of it, it is considered as the active memory of the nation, it is the preserver of its civilization and being, its key is to document its entitlement to its land, and a shield to protect it and its identity from blasting and falsehood, loss, and a guarantee of its survival and continuity.

Therefore, we will focus in formulating this topic on four main points, first of which is what is the awareness of history for Sheikh Abdelhamid Ben Badis; second the aspects of his interest in him and his fields of employmen, in éducation, journalism and sermons, then determine the benefit of reading it and studying it, manifesting in the revival of the national memory, strengthening the unity of Algerians, achieving the renaissance of nations and peoples, and educating students of science and enlighten their minds. Finally, stand on his role in historical writing.

Keywords: History; Ben Badis; Awareness; Identification; National memory.

1.مقدمة:

كان من بين الأهداف الأساسيّة التي سطّرها الشّيخ عبد الحميد بن باديس في خطّته الإصلاحيّة ومنهجه التّربوي، ومقارعته للاستعمار الفرنسي الذي انكبّ على تفقير المجتمع الجزائري، وتجهيله، وطمس هويّته، وتشويه تاريخه، الدّفاع عن مقوّمات الانتماء والهويّة الوطنيّة، وحمايتها من كلّ شائبة قد تشوبها فعلى غرار الإسلام أصل دعوته، واللغة العربيّة التي مثّلت روح ثقافة الأمّة الجزائريّة ووحدتها، عدّ التّاريخ بمثابة ذاكرتها الحيّة، وحافَظ حضارتها وكينونتها، ومفتاحها لتوثيق أحقيّتها في أرضها، ومنه فقد خصّه باهتمام فائق برز في مختلف أدبيّاته وخُطبه وممارساته، غير أنّ فهمه للتّاريخ قد تجاوز المفهوم الكلاسيكي الذي حصر ماهيته في كونه سجلا لجملة من الأحداث والوقائع الماضية، وحاول من خلال أفكاره وجهوده المختلفة التّأكيد على أنّ فهم الماضي، وبناء الحاضر والمستقبل لا يكون إلّا عن طريق الوعي بالتّاريخ، وهو ما سنقف عليه في ثنايا هذا البحث.

وبالنّظر إلى الدّراسات السّابقة التي تطرّقت لهذه النّقطة بالذّات، كبحث الأستاذ حسين شرفة بعنوان" استلهام التاريخ في المنهج التّربوي لابن باديس"، الذي نشر في العدد السّادس من مجلّة الموافقات الصّادر سنة 1997م، وبحث الأستاذ الدّكتور مولود عويمر الموسوم بـ" مسألة التّاريخ عند الإمام ابن باديس"، التي نشرها في كتابه عبد الحميد ابن باديس: مسار وأفكار، وبحث الدّكتور الطّاهر بونابي عن " أهميّة التّاريخ في بناء الوعي" خلال النّدوة الفكريّة التي نظّمتها مؤسّسة ابن باديس بدار الثّقافة " مالك حدّاد" بمدينة قسنطينة يوم 17 أفريل 2019م احتفاء بذكرى يوم العلم تمحورت حول" الوعي بالتّاريخ عند الإمام عبد الحميد بن باديس"، فإنّها تبقى بحاجة إلى مزيد من البحوث، وهو ما جعلني أحاول الإسهام في الموضوع، معتمدة فيه على المنهج التّاريخي الوصفي والتّحليلي، في عرض الأحداث وسردها، وتحليل أفكار ومواقف الشّيخ، واستقراء ما حوته كتاباته خاصّة في صحافته.

وتهدف الدّراسة إلى إبراز الجانب الفكري لدى ابن باديس، وتوضيح أهميّة الوعي بالتّاريخ، كونه يمثّل ضرورة اجتماعيّة تقوم على أساسها وظائف الفرد الحضاريّة، ووسيلته لفهم وجوده وكينونته، فما هو مفهوم الوعي بالتّاريخ عند عبد الحميد بن باديس؟، وفي ما

تجلّت مظاهر عنايته به؟، وما هي أهميّة قراءته ودراسته؟ وما مدى مساهمته في الكتابة التّاريخية؟.

2.مفهوم الوعي بالتّاريخ عند عبد الحميد بن باديس:

لم ينظر الشّيخ ابن باديس للتّاريخ من الزاوية الضيّقة للمعنى المقتصرة على سرد الأحداث والوقائع وذكر تواريخ الأمم وأيّامهم الغابرة، وإنّما نظر إليه نظرة أوسع وأشمل، من منطلق أنّ التاريخ يمثّل حجر أساس في عمليّة التحرّر، والبناء الحضاري، لذلك ذهب إلى اعتباره مصدرا لمعرفة السّنن التي تحكم النشاط الإنساني وإدراك أسباب نهوض الأمم وسقوطها فيقول:" إنّي درست التّاريخ فوجدت الأمم تنهض بأحد أمرين؛ بكثرة العلم أو بكثرة الظّلم، فأمّا العلم فنحن منه فقراء، وأمّا الظّلم فنحن منه أغنياء، اللهمّ إن قصدت به إنهاضنا فنشكرك صابرين ونشكرك مجاهدين، ونحمدك على ما سلّحتنا به من إيمان قويّ جعلنا نطمئنّ إلى تاريخنا وتاريخ العرب، مكتوب بحبر من نار وحروف من نور، وهذا النور لا يمّحي وتلك النار لن تنطفئ"[1]، وبذلك توافق نظرته نظرة العلّامة عبد الرّحمان بن خلدون الذي تفرّد في وصفه للتّاريخ، وفضله، مثلما عبّر عنه في مقدّمته، بقوله:" أنّ فنّ التّاريخ فنّ عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتّى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّين والدّنيا"[2]، ولعلّ أدلّ على قيمة التّاريخ عند ابن باديس ما بعث به في رسالته إلى الأستاذ مبارك الميلي حين أصدر كتابه **"تاريخ الجزائر في القديم والحديث"** مشيدا بأهميّة ما أنجزه، مُبدِيًا رغبته في أن لو حمل الكتاب عنوان " **حياة الجزائر**"[3]، مثنيا عليه بقوله:" ...وقفت على الجزء الأوّل من كتابك **"تاريخ الجزائر في القديم والحديث"**

فقلت لو سمّيته" حياة الجزائر"...إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنّما أحيا النّاس جميعا فكيف من أحيا أمّة كاملة، أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتهما عند أبنائها حياة مستقبلها"[4].

ومسألة التّاريخ عند ابن باديس قد تعدّت الحسّ التّاريخي إلى ما يسمّى بالوعي التّاريخي، وهو عبارة عن يقظة داخليّة تبحث عن الذّات، وتتساءل عن انتمائها الحضاري وهويّتها الثّقافيّة، ومصيرها المجهول في الحاضر والمستقبل، والكوارث القوميّة، ممّا يكون له دور حاسم في خلق الوعي التاريخي لدى أمّة معيّنة[5]، وهو ما اتّضح من خلال الوقوف على خطابه في اجتماع الجمعيّة العام بنادي الترقّي لسنة 1939م، ونشرته مجلّة الشّهاب في ثلاثة أجزاء متتالية وموضوعه" العرب في القرآن"[6]، بيّن فيه أنّ للعرب نواح إيجابيّة وأخرى سلبيّة وبالمقابل فإنّ قضيّة الوعي بالتّاريخ لا تتطلّب فقط ذكاء الدّارس، والباحث، والمؤرّخ، وقدرته على الفهم والتّحليل وإنّما لابدّ لهذه المهمّة من الارتكاز على منهج علميّ في دراسته، وتناول صفحاته، وأحقابه وأحداثه، والعلاقات التي تربط ربطا موضوعيّا وجدليّا بين ما يراه البعض ركاما من الأحداث، ومن ثمّ اكتشاف الروح السامية والنامية في هذا التاريخ، ودرجة النموّ واتّجاه السّير، وعلاقات ذلك بالقوى الاجتماعيّة والتيّارات القوميّة، والتّأثيرات الداخليّة والمؤثّرات الخارجيّة، وعوامل التّصاعد والهبوط، التي اعترضت وتعترض مسار الأمم والطّبقات[7]، وبذلك فإنّ التاريخ بما حوى من إنجازات وإخفاقات سيؤدّي إلى تحويل هذا الشّعور النّفسي إلى وعي ورشد، يحمل مجتمعا ما أو أمّة ما إلى قراءة لمختلف أطوار حياتها وماضيها، وإنجازاتها، لتتحرّك في الواقع وتتوجّه بثقة نحو المستقبل[8]، لذلك نجد الشّيخ ابن باديس قد أعطى قيمة كبيرة للتّاريخ، سيما منه العربي والإسلامي منذ كان طالبا في تونس أين تلقّاه على يد شيخه البشير صفر[9]، الذي كان له الفضل في اطّلاعه على تاريخ وطنه وأمّته[10]، ذلك أنّه أدرك أنّ الوعي بالتّاريخ الوطني والقومي هو أمر شديد النّفع، وضروري ضرورة قصوى لبناء المستقبل العربي والإسلامي المتحرّر، والمتقدّم والمتّحد على الصّورة التي يحلم بها أيّ إنسان في وطنه[11]، حتّى وصل إيمانه بنفعيّة التّاريخ أن جعل تعلّمه واجبا لكلّ جزائري، ولكلّ منتسب لوطنه فيقول:" إنّما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي، ومصالح الحاضر، وآمال المستقبل، والنّسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام

بواجباته، من نهضة علميّة واقتصاديّة وعمرانيّة، والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه"[12].

3. تجلّيات اهتمامه به:

1.3.في مجال التّعليم:

كان الشّيخ ابن باديس مدركا ما للتّاريخ من فائدة علميّة وإنسانيّة وحضاريّة فعنِي به، وسعى إلى توظيفه، واعتماده كوسيلة لبثّ الرّوح الوطنيّة، وبناء الذّاكرة الجماعيّة والصّمود في وجه محاولات المستعمر الفرنسي لتغيير كلّ ما هو جزائريّ، فنجده أدرج تدريس التّاريخ والجغرافيا[13]، اللتين أضيفتا بعد 1933م إلى التّعليم الحرّ، سواء المسجدي أو المكتبي[14]، ضمن المواد المقرّرة لطلبة الجمعيّة من تفسير القرآن وتجويده وشرح الحديث النبوي، والفقه المالكي، والفرائض، والآداب، والأخلاق الإسلاميّة، واللّغة العربية، وفنونها والفنون العقليّة، كالمنطق والحساب[15]، بل إنّه جعل تعلّم الجغرافيا، والتّاريخ من الضّروريّات التي وجب على المرأة الجاهلة تعلُّمها زيادة على الدّين، واللغة، والكتابة، والقراءة وإتقان حرفة يدويّة، وتربية الأولاد، والمعالجة الأوليّة لمختلف الأمراض، وشؤون المنزل، والحساب[16]، وفي إطار تقديم اقتراحاته لإصلاح التّعليم في جامع الزّيتونة بتونس أدرج مادّتي التّاريخ والجغرافيا ضمّنها إلى جانب باقي العلوم الأخرى من لغة نحو، وبيان، وفقه، وحديث وفلك، وهندسة وغيرها[17].

وحرصًا منه على جديّة العمليّة عمد إلى اختيار الكتب المقرّرة على الدّارسين بعناية تصدّرتها مقدّمة ابن خلدون التي اشتملت على التّاريخ وعلوم أخرى سياسيّة، واجتماعية واقتصادية، وأدبية، كان يُدرّسها لهم بنفسه[18]، إضافة إلى سيرة ابن هشام، والعروة الوثقى للإمامين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وتاريخ العرب للمؤرّخ الفرنسي غوستاف لوبون(Gustave Le Bon)[19].

وما يميّز رؤية المصلح ابن باديس للتّاريخ أنّها لم تكن سطحيّة ظاهرة، إنّما اتّسمت بالعمق والدقّة، نبعت من اقتناعه بما لقراءة التّاريخ من قسط وافر في إظهار حقيقة أمّة الجزائريّ وبلاده، وما يجب عليه نحوهما، فلا مِراء في أنّ التّاريخ أكبر عامل على الرّوح الوطنيّة

بل إنّ الوطن هو تاريخ الوطن، ومن ثمّ عناية كلّ دولة بتعليمه لأبنائها، وبالأخصّ تاريخ بلادهم، وقد دعّم رأيه بكلمة نقلها عن الأستاذ علي بن علي الجمعي المدوكالي من تونس والتي أعرب فيها عن منهجيّة تدريس التّاريخ للتّلاميذ والتّعامل معه، وفق الضّوابط التّالية:

1: يجب على مديري المدارس أن يحتّموا قراءة التاريخ بقسميه الخاص بالبلاد، والعام في جميع الأقطار الإسلاميّة.

2: أن يكون الذي يتولّى تدريسه خبيرا بحقائقه مدركا لخباياه.

3: أن لا يقتصر مدرّس التّاريخ على بيانه، والوقائع، والأعمال لأنّ ذلك لا يفيد شيئا، إنّما عليه أن يبسط الكلام فيه، ويبحث في أصول المسائل، ويبيّن للتّلميذ الجزائري دقّة الملاحظة في كلّ شيء، ليتمكّن ذلك في أعماق قلبه، وتتكوّن له قوّة عقليّة، وقوّة إدراك يتوصّل بها في أوّل أمره وبراءة تعليمه إلى غوامض الأمور، وخفاياها التي كانت سائدة في الماضي، وبادت في الحاضر، علّه يكون من الذين يبحثون على تراث الماضي ويتسبّبون في ترميمه، حتّى يرجع إلى حالته الأصليّة التي كان عليها من قبل[20].

ولأنّ الإدارة الاستعماريّة كانت تمنع تدريس الجغرافيا والتّاريخ العربي والإسلامي لأبناء الجزائر تبعًا لقانون 1904م[21]، فقد كان الشّيخ ابن باديس يدرّس هاتين المادّتين لتلاميذه خفية بسدّة الجامع الأخضر قبل صلاة الفجر، فيوقظهم، ويعلّمهم في هذا الوقت لأنّه وقت تنام فيه أعيُن الجواسيس، وتستيقظ فيه الملائكة– على حدّ قوله– فكان يُقدّم لهم الجغرافيا ضمن مادّة يسمّيها "موقع السّيرة"، والتّاريخ من مقدّمة ابن خلدون[22] ومن هنا يتّضح مدى تضحية الشّيخ وطلبته براحتهم من أجل تعلّم هاتين المادّتين.

ولم يكتف ابن باديس بالدّعوة لقراءة التّاريخ، وبتدريسه كأحداث أو حكايات، بل تجاوزه إلى الاستلهام منه، لأنّ الذين يعون التّاريخ يوظّفون الماضي، والحاضر لبناء المستقبل حتّى تزدان صفحاته بالآمال والأحلام التي راودت الآباء والأجداد[23]، وبرز في تدارسه لأحداث الأمّة العربيّة والإسلامية السّابقة، ووقوفه على أخطاء السّابقين، والاستفادة من تجارب الأوّلين.

2.3.في مجال الصّحافة:

إنّ المتتبّع لصحافة ابن باديس يجدها لا تخلو من قصص وأحداث التّاريخ الماضي أو التّأريخ لأحداث تلك الفترة، ليس في الجزائر فحسب، بل في مختلف بقاع المعمورة

فالمتصفّح للمنتقد[24] مثلا يلاحظ حضور الأخبار والحوادث، والوقائع التاريخيّة في كلّ عدد من أعدادها سواء في باب" **ملخّص الأخبار**" الذي كانت تنقل فيه متفرّقات من أنباء الوطن، في جهاته المختلفة، أو" **ذكرى وعبرة**" الذي حوى القصص التّاريخيّة للأمم الغابرة أو باب " **أنباء عن العالم**" وفيه أرّخت للأحداث العالميّة[25].

أمّا الشّهاب[26] فقد احتوت بدورها على" **قصّة الشّهر**" التي كانت تُنقل عادة من الكتب القديمة، تحكي سيرة بطل من أبطال التاريخ الإسلامي، أو موقفا من المواقف الإنسانية الخالدة[27]، ولعلّ الهدف من تثبيت هكذا عنصر في كلّ عدد منها، وإدراج القصص البطوليّة هو إيقاظ الوازع الديني والوطني لدى قُرّائها بطريقة إيجابيّة وأخذ العبرة والعظة من أبطالها وشخصيّاتها، للدّفاع عن الدّين والوطن ضدّ الغزاة المعتدين، فضلا عن باب " **نظرة عالميّة** " – وإن كان في أصله ركن سياسي محض – إلّا أنّه كان يجعل متتبّعيها على اطّلاع بمجريات الأحداث العالميّة خلال كل شهر، وقُسّم بدوره بعد مدّة إلى عنوانين هما " **في الشمال الإفريقي**" و" **الشهر السياسي**" في عالمي الشرق والغرب"[28]، إضافة إلى باب" **رجال السلف ونساؤه**"، علاوة على أنّه ألّف كتابا بالاسم ذاته " **رجال السلف ونساؤه**"، اشتمل على تراجم لشخصيّات إصلاحيّة من السّلف كأبي ذرّ الغفاري وبلال الحبشي، وعبادة بن الصّامت، وزوجه أمّ حرام بنت ملحان، فتعرّضت لسيرتهم وخصالهم وصفحة" **القصص الديني** " التي كان يورد فيها من قصص سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم وصحابته رضوان الله عليهم، وتعامله معهم في قيادته لهم في السّلم والحرب، لاستخلاص العبر، والأخذ بالقدوة، وربط الجزائريين بتاريخ أمّتهم العربيّ والإسلاميّ.

هذا إلى جانب المقالات المنفردة التي نشرتها، نقلا عن جرائد أو مجلّات عالميّة أخرى، فكانت عبارة عن رسائل من تحت الماء، يُوصل من خلالها صاحبها أفكاره وأهدافه لإيقاظ الهِمم، وتنوير العقول، من ذلك مقال " العرب والتّصوير" للمؤرّخ الفرنسي المسيو لوركيه(Lorkie) الذي نشر في مجلّة الشّرق التي كانت تصدر في مدينة ساوباولو بالبرازيل وصف فيها صاحبها مدنيّة العرب في كتابه " **الفنّ والتّاريخ**"، بيّن فيه كيف أنّ الفنّ قد ساير الدّين الإسلامي جنبا إلى جنب، حتّى أنّ الفرنسيين لم يروا دينا ائتلف مع الفنون ائتلاف الدّين الإسلامي معها والذي برز من خلال ما استعمله المسلمون في النّقوش والتّزاويق من الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة والأشعار المختلفة[29].

ونشرِه لمحاضرة " **الإسلام وأوروبا**" التي ألقاها النّمساوي عمر أفرهلز (Omar Overhills) في الكليّة الإسلامية بالهند نقلا عن مجلّة " صدى الشبّان المسلمين" العراقيّة شخّص فيها أسباب عدم اعتناق شباب أوروبا إلّا القليل منهم للإسلام، معرّجا فيها على بعض المحطّات التاريخيّة في أوربّا والشرق الإسلامي وعلاقتهما خلال العصور الوسطى[30].

ومن جهة أخرى وجّهت الشّهاب خطابها إلى المفرّطين والمتساهلين في قوميّتهم وانتمائهم لوطنهم وجهلهم لتاريخهم بنقلها لمقتطف من مقال للدّكتور زكي مبارك[31]، نُشر في جريدة البلاغ[32]، صوّر فيه مدى اهتمام الفرنسيين بقوميّتهم، وكيف أنّهم يعتبرون التّاريخ جزء منها، ويمثّلون في مدارسهم وملاعبهم ومعاهدهم الحرص المطلق على تقاليد آبائهم وأجدادهم، ولو أنّ أحدا ألقى على فرنسيّ أيّ كلمة خشنة عن أيّ عهد من عهود التّاريخ الفرنسيّ لغضب، واهتاج وثارت ثائرته، لأنّهم يغارون على تاريخهم، وقوميّتهم إلى حدّ الحمق والطّيش[33].

ومن دلائل اعتناء العلّامة ابن باديس بالتّاريخ، وبكتب الدّراسات التّاريخيّة أيضا تعليقه في جنبات الشّهاب على صدور كتاب" **محمّد عثمان باشا داي الجزائر 1766م–1791م**" لأحمد توفيق المدني، الذي لخّص فيه تاريخ الجزائر في العهد العثماني، فكان من خير من بعثوا أوطانا وأحيوا أمما، هذا الكتاب الذي جاء في وقت راجت فيه جنايات الاستعمار الفرنسي، والأوربي عامّة على البشريّة التي ابتليت به فصوّرها في أبشع صور الهمجيّة، والوحشيّة، والتّناحر، والانحطاط، لا لشيء إلّا ليبرز استيلاءه عليها وعلى أوطانها[34].

وواقع الجزائر لم يكن بالبعيد عن ذلك، فقد عانى تاريخها من التّشويه، والتّزييف والتّصوير المجانب للحقائق، بل وأصبح يُدرَّس للجزائريين في المكاتب الفرنسيّة بتلك الصّفة ومع غياب الجمعيّات التي تحتجّ على ذلك التّشويه الباطل، برز من أبنائها من يذود عنه فجاء كتاب الأستاذ المدني ليبيّن ما كانت عليه الجزائر من القوّة والعمران قبل الاحتلال الفرنسي، وما أصابها من التّخريب والتّقتيل أيّام الاحتلال وبعيده، ناقلا له من وثائق وكتب فرنسيّة[35].

كما أشاد الشيخ ابن باديس –كما ذكرنا سابقا– بتأليف الشيخ مبارك الميلي لكتاب " **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**" الذي صدر جزؤه الأول عام 1928م

والثاني عام 1932م، وكان أوّل كتاب بيَّن للجزائريين المستعمَرين بأنّهم أمّة مستقلّة عن فرنسا، بعيدين عنها كلّ البعد، لها أمجادها، ومآثرها، وبطولاتها، خلافا لما ادّعته المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة الفرنسيّة وروّجت له، ونظرا لقيمته وصفه ابن باديس بـ " السّفر الجليل"[36] وظلّ يكرّر التّذكيّر به، وبما احتوى جزآه من مواد معرفيّة بمناسبة نكران القوميّة والتّاريخ على حدّ تعبيره، ويدلّ القرّاء على مكان بيعه، ويحثّهم على اقتنائه، وقراءته حتّى يتعرّفوا على تاريخ وطنهم، ومجد قومهم[37].

كذلك أوردت الشّهاب رأيها في عدّة كتب تاريخيّة، مثل كتاب " **تاريخ العرب بالجزائر**" الذي تحدّث فيها عن جزء من تاريخ قبيلة نقّوسة[38]، ونظرة أخرى في كتاب "**بلاغة العرب في الجزائر**" لعثمان الكعاك، آخذ فيه صاحب الموضوع مؤلّفه الذي ذكر أنّ اللغة العربيّة لم تكن في وسط الرّستميّين إلّا بمقدار، وأنّها أخذت تضمحلّ، لولا حاجة القوم لها في أمور دينهم، وأنّهم أقاموا لأوّل مرّة الصّروح للأدب البربري، ووطّدوا له الدّعائم والأسس، وترجموا إلى البربريّة كلّ ما يحتاجون من أدب، وفقه، ودواوين وغيرها، فردّ عليه بأنّ العربيّة كانت هي اللّسان الرّسمي للرّستميين في معاملاتهم، ورسائلهم، وتقاريرهم الإداريّة والتّعليم والتّأليف، ولم يوطّدوا للبربريّة أيّة دعائم، ولم يؤلّفوا بها إلّا قليلا أو نادرا، وهو شخص واحد عُرف باسم أبو سهل حسب صُحف التّاريخ والطّبقات[39].

وزيادة على ما سبق، حرص ابن باديس على إحياء المناسبات التاريخيّة، لاستخلاص العبر، وربط الحاضر بالماضي، فنجده مثلا ألقى بمناسبة ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسّلم محاضرة بمقرّ جمعيّة التّربية والتّعليم الإسلامية بقسنطينة، بعنوان" أسباب الهجرة وبداية التاريخ الإسلامي"[40]، بيّن فيها بيانا شافيا المواعظ التي تكون أساسا للمربّي فينشئ جيلا مطبوعا بالطابع الإسلامي، صالحا للنهوض بجلائل الأعمال وأنفعها للبشريّة.

3.3.في خطبه ونداءاته:

لم تكن خطب ابن باديس في المساجد والاجتماعات، أو الصّحافة مقتصرة على الدّعوة للإصلاح الديني، والاجتماعي أو التّعليم والثقافة فحسب، بل اجتهد في اغتنام مختلف المناسبات لتذكير الجزائريين بماضيهم العريق، وبأمجاد أجدادهم، ويقارن لهم حالهم الحاضر بحالهم الماضية، حتّى يعوا مدى التّقهقر والضّعف الذي أصبحوا فيه بسبب الاستعمار، الذي عمل على تجهيلهم، وتغييب الحقائق التاريخيّة لأمّتهم، ذلك أن لا يمكن

لأيّ فرد أو أمّة أن تنهض، أو تسيطر دون أن تكون ملمّة بتاريخها حافظة له، ولنا في اليهود في فلسطين مثال على ذلك، فرغم ادّعاءاتهم الزّائفة في حقّهم فيها، إلّا أنّهم يولون اهتماما كبيرا بماضيهم وتاريخهم حيث جاء في القانون الرّسمي للتّعليم الصّادر سنة 1953م أنّ إرساء الأسس التربويّة يجب أن يكون على قيم الثّقافة اليهوديّة[41]، هذه الأخيرة التي فسّرها مقرّر وزارة التربية للحكومة اليهوديّة سنة 1959م بدور الحكومة التي ستسعى في المدرسة الابتدائيّة والثّانوية والدّراسات العليا إلى تعميق الوعي اليهوديّ بين شبّان الكيان الإسرائيلي وترسيخ جذورهم في ماضي اليهود، وفي تراثهم التاريخي، وإلى تقوية العلاقات الأخلاقيّة التي تربط بين هؤلاء الشبّان وبين اليهود في العالم، لذلك كانت مباحث العلوم الإنسانيّة خاصّة التّاريخ والجغرافيا والتّربية الوطنيّة ضمن المواد المدرجة في المناهج، والكتب التي تُدرس في المدارس الإسرائيلية سيما في مدينة القدس التي بدأت في تطبيقها منذ 04 نوفمبر 1967م[42].

ولولا إدراك اليهود والصّهاينة لما للتّاريخ من تأثير في الشّعوب، ونهضتها لما قاموا بتشويه تاريخ العرب والمسلمين، ولما حذفوا من مناهجهم كلّ العبارات والمصطلحات التي لها علاقة بالتّاريخ الوطني الفلسطيني أو الكلمات التي لها دلالات على الهويّة، ككلمة فلسطين التي استبدلت بأرض إسرائيل[43]، وتشويه تاريخ القدس الشّريف وتزييفه، وهو ما أسف له وتأسّى عليه الشيخ ابن باديس، قائلا:" ثمّ أسكب عَبرة الأسى على ما تَلْقاه أرض القدس الشّريف من عسف الاستعمار الغاشم، الذي فرّق بين الإخوة الذين عاشوا في هناء وصفاء منذ قرون، كما لطّخ تاريخهم من هذه الفعلة بكلّ نقيصة مخزية ومُردية، ولطّخ تلك الرّحاب المقدّسة بالدّماء البريئة فبلسانكم ولسان الجزائر كلّها من الأجنّة في بطون الأمّهات إلى الذين في الأجداث أرفع الشّكوى إلى الله، ثمّ الاحتجاج إلى كلّ من فيهم إنسانيّة من جميع الأمم"[44].

والأمر ذاته قامت به فرنسا من قبل، إذ عمِدت لتشويه التّاريخ الوطني، ونفي وجود الجزائر وربطه بالاحتلال الرّوماني في القديم لبلاد المغرب، ووظّفت لذلك العديد من مؤرّخي المدرسة الاستعماريّة والكتابات التّاريخيّة المغرضة، وفي مدارسها لم تكن تُعط للجزائريين من العلم إلّا الفتات[45]، واستغلّت العديد من المناسبات لترويج ذلك، فقد أقامت الاحتفالات المئويّة الصّاخبة لاحتلال الجزائر، امتدّت طيلة ستّة أشهر من جانفي إلى 05 جويلية

1930م[46]، واعتبرته الصّحافة الفرنسيّة أجمل تاريخ في تاريخ الإمبراطورية الفرنسية الاستعماريّة بمثابة الرّوح لها، ومصير فرنسا المتجدّدة[47]، وفق برنامج طويل نشرته صحيفة l'écho de Tiaret الفرنسيّة أوحى بمدى اهتمام فرنسا بكلّ ما هو تاريخيّ، حيث تضمّن جولات سياحيّة لعدّة مناطق من الوطن، كالجنوب الجزائري والصّحراء (بسكرة – تقرت – الوادي – ورقلة – غرداية – الاغواط – بني ونيف في الفقيق) في شهر جانفي، وزيارة الواحات، والقطاع الوهراني في شهر مارس، بينما نظّمت رحلات سياحيّة أخرى لمنطقة القبائل والأوراس للوقوف على أطلال الرّومان خلال شهر أفريل، وفيه أيضا تمّ عقد عدّة مؤتمرات كالمؤتمر الممجّد للاستعمار، والمؤتمر الوطني للجمعيات الزراعيّة، والمؤتمر الوطني للتبادل والتعاون الزراعي في شهر مارس ومؤتمر القوميّة الذي عقد في مدينة قسنطينة، ومؤتمر علم الآثار والعلوم التّاريخيّة في شهر أفريل[48]، ثمّ أقامت احتفالات شبيهة بها سنة 1937م بمناسبة الذكرى المئويّة لاحتلال مدينة قسنطينة، وقد نشرت الصّحف الفرنسية دعوة الجمهور القسنطيني إلى المشاركة في العرس الاستعماري، موهمة إيّاه بأنّ أسلافه قد رحّبوا بالمحتلّين فانبرى الشّيخ ابن باديس لإحباط هذه الادّعاءات، بدعوة سكانها لمقاطعتها مثلما فعلت 14 جمعيّة إسلاميّة ناشطة في قسنطينة[49].

ودعّم موقفه بنشر وثيقتين تاريخيّتين هامّتين بعنوان" الصّفحة الذّهبيّة" صحّح فيها الحقيقة التاريخيّة، ما دار في المراسلة بين قائد حملة الاحتلال بمنطقة قسنطينة وبين أحمد باي نقلهما عن كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"[50].

وبمناسبة شراء مدرسة التربية والتّعليم بقسنطينة، والتي تعتبر المدرسة الأم للتعليم العربي الإسلامي في الجزائر، لم يفته أن يذكّر بتاريخها، مؤكّدا على وجوده، وأنّ الأمّة الجزائريّة تسبق الاستعمار الفرنسي بكثير[51] فيقول: " إنّ الذي يعلم تاريخ الجزائر الحديث يجزم بأنّ هذا الشّعب شعب حيّ لن يموت، لقد كان هذا العبد يشاهد قبل عقد من السّنين هذا القطر قريبا من الفناء، ليست له مدارس تعلّمه، وليس له رجال يدافعون عنه ويموتون عليه بل كان في اضطراب دائم مستمرّ ....وكان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلّا إلى المدارس الأجنبيّة التي لا تعطيهم- غالبا- من العلم إلّا ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسّفاسف، حتّى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم، ولغتهم، وقوميّتهم وقد ينكرونها، هذه هي الحالة التي كنّا

عليها في تاريخنا الحديث، وما كنّا لنرضى بها أو نبقى عليها، وقد ولدتنا أمّهات مسلمات جزائريّات يَأْبيْن إلّا أن نبقى كما وُلدنا"[52].

4.أهميّة قراءة ودراسة التّاريخ:

اعتنى ابن باديس عناية كبيرة بالتّاريخ في استراتيجيّته النّهضويّة لتيقّنه لما له والماضي من مفعول في عقول الجزائريين، ونظرتهم لأحقيّتهم بوطنهم، ومنجزات أسلافهم السياسية والدينية والاجتماعية، والعمرانية وغيرها، إذ يؤدّي إلى:

1.4. إحياء الذاكرة الوطنيّة، وتعزيز وحدة الجزائريين:

يعدّ تاريخ كلّ أمّة أحد مقوّمات شخصيّتها، كونه يمثّل ذاكرتها، والشّعور بكيانها وديمومتها، لهذا تصدّى الاستعمار الفرنسي لتدريس التّاريخ للجزائريين، وشنّ حربا شعواء لإضعاف شخصيّتهم، بالتّركيز على تدريس تّاريخ الجزائر في عصور ما قبل الفتح الإسلامي وفترة الاحتلال، وتفسير الفتح الإسلامي للبلاد على أنّه احتلال وغزو عربي[53]، وأنّ فرنسا جاءت إليها لتحرير شعبها من استبداد الأتراك وليتقاسمو فضائل الحضارة معهم[54] ضف على ذلك، حاولت تشويه التاريخ العربي والإسلامي عند تدريسه للأطفال الجزائريين المتمدرسين في مدارسها، فكانوا يلقنونهم أنّ بلادهم الجزائر كانت تسمى الغال la gaulle، وأنّ أصل أجدادهم ينحدر من الغاليين les gaulois من جنوب فرنسا، كما منعت تدريسهم جغرافيا الجزائر في مدارسها الحكوميّة، وفي مدارس التعليم العربي الحر[55] ولهذه الأسباب انصبّت جهود ابن باديس على ضرورة تدريس التّاريخ الصّحيح والاعتناء به، حتّى يعطي الصّورة الحقيقيّة له، ولمحاربة كلّ تحريف أو تزييف له.

كان الشّيخ ابن باديس عارفا بالتّاريخ الوطني والقومي العربي والإسلامي، وحتّى الغربي مُلِمّا بمختلف جوانبه الحضاريّة، واعتبره عنصرا من مكونات الهويّة والشخصية الجزائريّة، وداعما من دعائم عُرى الوحدة الوطنية، لأنّه يحفظ ماضي الأمّة وذاكرتها، فكان كثيرا ما يحثّ الجزائريين، ويذكّرهم بماضيهم التّليد، ويعتبره مصدر ثقة واعتزاز، فعبّر عن ذلك مخاطبا إيّاهم:" ثقوا بأنفسكم، فإنّ من لم تكن له ثقة بنفسه لا تكون له ثقة بالله ...لنا مواهب مثل ما لغيرنا...ولنا من هذا التّاريخ الممتدّ البعيد مجد وملك مثل ما لغيرنا وفوق ما

لغيرنا...وإنّما علينا أن نعرف تاريخنا، ومن عرف تاريخه جدير بأن يتّخذ لنفسه منزلة لائقة في هذا الوجود، وأنّ الذي يعلم تاريخ الجزائر الحديث يجزم بأنّ هذا الشّعب شعب حيّ لا يموت"[56]، له أصوله التي لطالما دافع عنها، ولم ينكر الأصل الأمازيغي للجزائر في مقال له بعنوان " كيف صارت الجزائر عربيّة؟" يقول فيه :" فلمّا جاء العرب وفتحوا الجزائر فتحا إسلاميّا لنشر الهداية لا لبسط السّيادة، وإقامة ميزان العدل الحقيقي بين جميع الناس، لا فرق بين العرب الفاتحين والأمازيغ أبناء الوطن الأصليين، دخل الأمازيغ من أبناء الوطن في الإسلام، وتعلّموا لغة الإسلام العربية طائعين"[57]، وذكّرهم كيف أنّ ذلك الاتّحاد الذي نتج عن المصاهرة بين العرب والأمازيغ قد نتج عنه تطوّر، وأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية، يعربون عنها، وينشرون لواءها بلغة واحدة هي اللغة العربية، وعقيدة واحدة، فأصبحوا شعبا واحدا عربيّا متّحدا اتّحاد الفؤاد واللّسان[58].

وإن لم يكن التّاريخ يبذر الوطنيّة، ويلد الوطنيّين ما كانت كلّ أمّة مغلوبة تجعل همّها الأوّل حرمان الأمّة المغلوبة من معرفة تاريخها، وما كان حرصها على التّنكيل بكتّابها المؤرّخين، أو شراء ذممهم بالغالي والثّمين، عِلما منها بأنّه مادام تاريخ تلك الأمّة في صدور أبنائها فصدورهم بالوطنية عامرة جائشة، وإنّها مخرجة في العاجل أو الآجل أبطالا مستبسلين يصبّون النّقمة والبلاء على القوم الظّالمين[59].

ولما حاول المستعمر الفرنسي اللّعب على وتر العصبيّة، واختلاف أصول الجزائريين بهدف تقسيم الجزائريين، إلى عرب وأمازيغ، مكرّسا لسياسة فرّق تسد، وقف له الشّيخ بالمرصاد، ففنّد كلّ محاولاته مستندا على الحقائق التّاريخيّة الثّابتة، وأنّ ما جمعته يد الله لا تفرّقه يد الشيطان، إذ ارتجل خطابا في أحد ليالي الجمعيّة جاء فيه: " إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثمّ دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدّة والرّخاء وتؤلّف بينهم في العسر واليسر وتوحّدهم في السرّاء والضرّاء، حتّى كوّنت منهم منذ أحقاب عديدة عنصرا مسلما جزائريا أمّه الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتّحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشّرف لإعلاء كلمة الله، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدّرس لخدمة العلم، فأيّ قوّة بعد ذلك تستطيع أن تفرّقهم أو تشتّت شملهم"[60].

وفي مقال آخر قارن بين تكوين الشّعب الجزائري، والشّعب الفرنسي، وأكّد أنّ اختلاط الدّماء في فرنسا أو الأمم الأوربيّة قائم وموجود، ولم يمنع ذلك فرنسا أن تكون أمّة واحدة لاتّحادها فيما تكوّنت به الأمم، وهي الحقيقة التي تعامى عنها المتعصّبون، وحاولوا التّركيز على وجود الأمازيغيّة في بعض جهات الوطن الجزائري، وجهل عدد قليل بالعربيّة في الجبال للتّشكيك في الوحدة الوطنيّة العربيّة للأمّة الجزائريّة التي كوّنتها القرون وشيّدتها الأجيال[61]، وبذلك كانت جهوده كلّها تتّجه نحو ضرورة ربط الحاضر بعهد السّلف، حتّى يتمكّن من إصلاح انقسامات الحاضر دون اللّجوء إلى مواجهات حاسمة قد تؤدّي إلى تصدُّع البُنى الاجتماعيّة للمجتمع الجزائري وقوّته.

وفي ردّه عن الجدال الذي دار حول وجود هويّة الجزائر أو عدمها، والذي تركّز على معنى الحضارة وعلاقتها بالتّاريخ، تناول فيه المتفرنسون مشكلة القوميّة الجزائريّة، من حيث أنّ الفرنسيين قد وجدوا الجزائر عام 1830م في حالة من التوحّش العام، وهي فكرة كانوا قد استقوها من كتابات مؤرّخين فرنسيين أمثال أتش. دو قرامونت(H.de Grammond)، وإي. إف قوتييه (E.F.gautier)، وإي برنارد(A.Bernard) فولدت مساهمات العديد من العلماء الجزائريين بالتّأكيد على أنّ ما كتبه الفرنسيّون عن تاريخنا كان متحيّزا، فكلّا من مبارك الميلي في كتابه " **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**" بجزأيه، وكتاب أحمد توفيق المدني " **كتاب الجزائر**"، قد ذهبا إلى القول أنّ الجزائر كانت موجودة، وكان لها عظمتها الخاصّة قبل قدوم فرنسا بمدّة طويلة وهو الرّأي الذي نشرته الشّهاب عندما أشارت إلى مؤلّفي التونسي عثمان الكعّاك" **بلاغة العرب في الجزائر**" سنة 1925م، و" **موجز تاريخ أعلام الجزائر**" سنة 1925م[62]، ومؤلّف المغربي عبد الرحمان بن زيدان" **إتحاف أعلام الناس**" المجلّد الأول سنة 1929م، والمجلد الثاني سنة 1930م الذي اهتمّ بتاريخ غرب الجزائر[63].

يضاف إلى ما سلف، العديد من المقالات التّاريخيّة المهمّة، التي وُظّفت لإظهار حقيقة أنّه على الرّغم من حالة الضّعف في مطلع الاحتلال الفرنسي، إلّا أنّ الجزائريين لم يكونوا بحال من الأحوال متوحّشين كما زعم البعض، وفرّق الشيخ ابن باديس على غرار غيره

من المصلحين الجزائريين بين البربريّة والتخلّف، وأشاروا إلى أنّ الانحطاط صفة موجودة وجب على المسلمين التّعامل معها، بينما الوحشيّة قد أُزيلت للأبد عن المسلمين بالإسلام[64].

وفي ذات السّياق وردّا على أحد الكتّاب الفرنسيين لاكرواه (Lacroix) الذي كتب مقالا في المجلّة الإفريقيّة، أدرجت الشّهاب نصّا مقتبسا من كتاب تاريخ الجزائر للميلي عنونته بـ" وطنيّتنا في التاريخ" أكّد فيه أنّ سكان الجزائر الأمازيغ في القديم بعد سبعة قرون من تسلّط الرومان والبيزنطيين على بلادهم لم تتبدّل طبائعهم وبقيت طبائع متّحدة، وأعمال متماثلة، وكراهية واحدة للأجنبي، ومحبّة واحدة للحريّة، وصفة واحدة في الحرب[65].

هكذا استعان الشيخ ابن باديس بالتّاريخ لدحض الحجج الكاذبة المزيّفة، ولتأكيد حقيقة الوطن الجزائري وهويّته الرّاسخة للاستفادة منه في إيقاظ الهمم وبلوغ القمم.

2.4. نهضة الأمم والشّعوب:

ازدادت أهميّة التّاريخ في العصر الحديث، واستُخدم كأداة لنهضة الشّعوب وتوعيتها، فالتّاريخ تجاوز معنى سرد الحوادث، والمرويّات وترديدها إلى تعليلها، وإيجاد الخيط الرفيع الذي يربط بين تلك الوقائع على امتداد الزّمان، لاستنباط معينات على فهم مجرى التاريخ، والحوادث المؤثّرة فيه، كون أنّ التّاريخ أصلا موضوعه الانسان والزّمان، ومن ثمّ أخذ العبر التي يستفيد منها في بناء حاضر الأمم، ورقيّها وتقدّمها من خلال تصحيح الأخطاء وتجاوزها.

فالتّاريخ بعث عصر مضى، تمرّ مناظره أمام القارئ بين سطور الكتاب، فيرى ما كان عليه أجداده من العزّة والرّفعة والجاه والمجد، ويُبصر عظمة ملكهم، ودقّة تنظيمهم ويعجب بِعدلهم، وحسن تدبيرهم فيتيقّن أنّ الخلف لابدّ أن يرث الكثير من خصال السّلف فيمتلئ ثقة بنفسه، والثّقة بالنّفس من أكبر وأعظم أسباب رقيّ الأمم، ووصول الدّول إلى أوجّ الفخار[66]، وهو روح الأمم يعرض أمام البشريّة ثمرات العقل الإنساني والعاطفة الإنسانية من أدب وعلم وقوّة ودين، ويُرينا ما وترت به الدّول والشّعوب والطّبقات والأفراد من محن ومصاعب وما سمت إليه من مجد وعظمة، وهو بذلك يوضّح لنا التطوّر السّياسي والاجتماعي والفنّي[67]، لذلك كثيرا ما أكّد ابن باديس على أهميّته في بناء الحضارات قائلا:

" إنّنا شعب خالد ككثير من الشّعوب، ولكنّنا ننصف التّاريخ إذا قلنا إنّنا سبقناها في ميادين الحياة، سبقناها بهدايتنا ونشرنا بينها الشريعة الحقّة قبل أن تتكوّن هذه الأمم، وسبقنا هذه الأمم في نشر الحقّ أيّام كانت في ظلمات من الجهل حالكة، أيّام كانت تسبح في لجج من الأوهام والخيالات، وذلك ما كنّا فيه، وما سنعود إن شاء الله إليه، وإنّما علينا أن نعرف تاريخنا، ومن عرف تاريخه جدير بأن يتّخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود"[68]، فمن فضائل التّاريخ أنّه يحفظ لنا مآثر الإسلام ومبادئه وصورته الحقيقية وقادته النّبلاء، في وقت أصبح فيه التاريخ الإسلامي مهجورا محقورا في عصر السّيطرة الاستعمارية، حتّى أصبح النّاس يتحدّثون عن بطولة نابليون، والأجدر بهم أن يفتخروا ببطولة عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه، ويدرسون تاريخ الأمم الأجنبيّة، والأحرى والأوْلى بهم أن يدرسوا تاريخهم الإسلامي القومي الوطني، ليعرفوا قيمتهم علّهم يثبون وثبات إلى الأمام[69].

وفي ردّه عن المفرنسين من الجزائريين الذين أضحوا يقدّسون الحضارة الغربية الأوربيّة، ويسلّمون بتقدّمها، وتحضّرها في الوقت الذي أنكروا فيه وجود أمّة كالجزائر، ودعوا للذوبان، والاندماج في فرنسا مثل فرحات عبّاس[70]، نشرت الشّهاب مقالا للأستاذ محمّد حسنين هيكل أكّد فيه على دور التّاريخ في بناء مستقبل الأمم وازدهارها جاء فيه:" ولسنا بحاجة ونحن أمّة إسلاميّة إلى أن نلتمس في غير ماضينا أسباب الإحياء للبلاد العربيّة والبلاد الإسلاميّة جميعا، لقد أنفق رجال البلاد الإسلاميّة من الجهود في سبيل العلم والفن خلال القرون الأولى التي عقبت النّهضة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ما خلّف لنا تراثا ضخما من التفكير والفلسفة والعلم، ولو أنّنا بذلنا من الجهد في إحياء هذا التّراث ما بذل الغرب في إحياء تراث اليونان لاستطعنا أن نخرج بهذه البلاد من جمودها الحاضر، وأن ننهض بها إلى حياة يقوم فيها الإيمان المكين على أساس من العلم الصّحيح الذي يدفعها إلى الدّرجات العلى"[71]، فكانت وقفات الشيخ على ماضي الجزائر دعوة صريحة للرّجوع إلى تاريخنا الذي يحفظ سيرة أسلافنا، ومآثرهم وأن لا همّة لأمة بدون تاريخ ولا نهضة إلّا به، وأنّ من جهله جهل قيمة نفسه.

ولما كانت نُظم الحياة الحاضرة تعديلا لنظم الحياة الماضية، وفي دراسة الماضي لا ينبغي نسيان الحاضر أو إهماله، ويجب دائما ربط الماضي بالحاضر، وتبيين أثره في النُّظم الموجودة[72]، وضّح ابن باديس ذلك سنة 1937م من خلال نشره لوثيقة تاريخيّة بمناسبة

عمل لجنة البحث البرلمانية في الجزائر قصد الاعتبار منها، والمقارنة من خلالها بين حال الجزائر في الماضي والحاضر، كانت الوثيقة عبارة عن تقرير عام كتبه السيّد حمّيدة بن باديس، الذي كان نائبا عماليا عن قسنطينة، وصف فيها حال الجزائر بعنوان" شكوى الجزائر وبلواها منذ 46 سنة"، كتبه بالعربيّة، ووقّعه معه زملاؤه بالمجلس العمالي بتاريخ 10 أفريل 1891م وترجمه للفرنسيّة م.ميرسيي تحت رقم 16.245، قدّمه بدوره لأحد رجال مجلس الشّيوخ، الذي قدم للبحث في أوضاع الجزائر سنة 1891م[73]، وهنا تساءل عن صحّة الفكرة الأفلاطونيّة التي تقول أنّ الرقيّ الفردي أسبق من الرقيّ الجماعي؟، ثمّ أكّد أنّ التّاريخ منذ القديم أثبت جدوب تلك الفكرة، وأنّ الرقيّ الجماعي مقدّم على الرقيّ الفردي والتاريخ العلمي التّجريبي شاهد على إفلاسها، وتوصّل لخلاصة أنّ الرقيّ الجماعي منوط بالرقي الفردي ومتوقف عليه[74].

وقد بلغت مركزيّة التّاريخ في منهج ابن باديس الدّعوي أن لا يكاد يخلو خطاب أو حديث له منه، سواء ما وجّهه للجزائريّين أو للتّونسيّين أو غيرهم من شعوب بلاد المغرب والمشرق، من ذلك مثلا استشهاده بالتاريخ في دعوته لعلماء تونس لإصلاح الزّيتونة، قائلا:" وإذا راجعنا تاريخ المسلمين في سعادتهم وشقائهم وارتفاعهم وانحطاطهم، وجدنا ذلك يرتبط ارتباطا متينا بقيام العلماء بواجبهم، أو قعودهم عمّا فرضه الله وأخذ به الميثاق عليهم"[75]، وغيرها كثير من الصّور والأمثلة التي لا يسع المجال لذكرها جميعا.

3.4.تربية الدّارسين وتثقيفهم، وبناء عقولهم:

للتّاريخ فوائد أخلاقيّة دنيويّة وآخرويّة، فقد كان عند المسلمين مادّة حرفيّة تمهّد لمهنة الكتابة والإنشاء وفي أوربّا في العصور الحديثة كان التاريخ يدرّس لأبناء النّبلاء والأمراء كوسيلة من وسائل تدريبهم على ممارسة أمور الحكم، وقد أصبح في الوقت الرّاهن يُدرّس في بعض المعاهد العليا والجامعات لإعداد مدرّسي التّاريخ والخبراء السّياسيّين، أمّا في المدارس الابتدائية والثانويّة فتغلب الفكرة الثقافية التي ترمي إلى تكوين الدّارس عقلا وروحا وإعداده لتذوّق الفنّ والجمال[76]، والشيخ ابن باديس ورغم انتهاجه طريقة جديدة في عمليّة التّعليم باعتماده على التّعبير العالي، والنّقد والتّمحيص، وغرس ملكة التفكير الصّحيح في المتعلّم وعنايته بتهذيب روحه، وبثّ روح العمل فيه، إلّا أنّه لم يغيّب التّاريخ، بل جعل طلبته

يعيشون عصرهم دون أن ينقطعوا عن ماضيهم[77]، ومن التّاريخ ملهما ومنشطا لهم لبناء حاضرهم ومستقبلهم، ذلك أنّ مركز التّاريخ مهم في العلوم الثقافيّة، والاهتمام به إنّما هو اهتمام بتركة الإنسان، وآثار لجهده الإنساني، وقد يشكّ البعض في قيمة تثقيف الطلبة بمعلومات عن أشخاص أو حضارات ولّت، لكنّهم لا يعرفون أنّ تلك الحضارات مازالت مقيمة بين الشعوب، مؤثّرة فيهم وملهمة لها، فما قيمة المعلومات الأخرى للإنسان إذا لم يعرف نفسه وماضي حياته وتفكيره في أطواره المختلفة؟، لذا فدراسة الإنسان وجب أن تكون محور كلّ دراسة ومركز كلّ بحث[78].

أمّا مركز التّاريخ في التّربية الخُلقيّة الاجتماعيّة فلا تقلّ أهميّة، لأنّ ذلك النّبوغ من التربية يرمي إلى تكوين الأخلاق الشّخصيّة، كون التّاريخ يدرس ماضي الإنسانية، وتراثها الاجتماعي، وبالمثل التاريخيّة يتمكّن الفرد من رفع مستوى الحياة، وتطهيرها من أدرانها، وفي الوقت نفسه تعمل على إعداد شخصيّة حقيقيّة لا خياليّة[79]، فهي درس في الأخلاق، وتهذيبها لا حدّ لنفاسته، ولا منتهى لنتائجه، خاصّة إذا كان في مرحلة مقتبل عمر النّاشئة فتنطبع على ذلك طينتهم، وتُربّى عليهم ملَكتُهم، لذلك وجدنا الشيخ ابن باديس يورد الكثير من الأحداث التاريخيّة والشّخصيات البارزة التي كان لها دور فعّال في بناء مجد الأمّة الإسلامية، سيما تلك التي تعلّقت بانتصارات الحروب والشّجاعة والإقدام أمام العدوّ والجهاد في سبيل الحق، والانعتاق من الظلم والعبوديّة.

والإنسان لا يستطيع أن ينكر استفادته من تجارب آبائه، واستفادة الأمم من تجارب من سبقها، فحياة الإنسان والأمم قصيرة، ومعظم تجارب الإنسان ومعلوماته مُستقاة من سابقيه، فعموم تاريخ الإنسان وحركاته وأعماله في هذه الحياة إنّما هو تاريخ رجاله العظام وما أدّوه فيه بصادق الجهود من جلائل الأعمال، وسمى الفعال، فتاريخ رجال السّلف وتاريخ مآثرهم هو روح التّاريخ بأجمعه[80]، ولا يعني ذلك أن تكون دراسة الماضي إعجابا فحسب بل دراسة فيها من التّفكير والنّقد له ما فيها، كما يلزم العناية بانتقاء الأمثلة التاريخيّة لأنّها خيرٌ أثرا من كثير من النّظريّات الأخلاقيّة، وكلّما كان المثل مأخوذا من الحياة كان أكثر بقاء في النّفس وأعمق قرارا فيها، وليست قيمة هذه الأمثلة مقصورة على عملها على استقرار الحياة، وإنّما في توجيهها لها كما ليس في المبادئ التي تمثّلها فحسب، بل في الشّعور والعواطف التي تستثيرها في نفس القارئ أو المتعلّم، والتّاريخ قصّة لمحاولات النّاس في سبيل

الحياة[81]، وبهجر الإنسان لتاريخه إنّما يقطع أكبر حبل يصله بماضيه والشّعب يحيى بماضيه أكثر ممّا يحيى بحاضره، ومن هنا يتجلّى ما بلغته أهميّة المرتكزات والأسس ــ ومنها التّاريخ ــمبلغها في فكر الشيخ ابن باديس، ورجال جمعيّة العلماء منتهاها، وأن لا مجال للمساومة عليها، حتّى عبّر عن ذلك الشيخ حمزة بوكوشة في إطار حديثه عن خوض العلماء لمجال السياسة قائلا:" وإن كان ذنبهم –أي العلماء– المحافظة على القوميّة الإسلاميّة واللغة العربيّة اللّتين عدّوهما حجر عثرة في طريق المساواة، والجلوس على كراسيّ النّيابات البرلمانيّة، فإنّ الجزائر المسلمة العربيّة تعتزّ بإسلامها وعربيّتها ولا تنسلخ عنها بحال ولو عوّضوها عن ذلك بالاستقلال"[82].

إذًا فالوعي بالتّاريخ في المنظور الباديسي معناه المفاصلة مع الاستعمار وأطروحاته التضليليّة، ونموّ الشّعور بالانتماء الحضاري من جهة، والعمل على تحرير البلاد، وتشييد المستقبل من جهة أخرى، " لأنّ الوعي بالتاريخ تتجاوز فائدته وثمراته حدود الاستفادة بهذا الوعي في حياتنا الحاضرة، وبناء واقعنا المعاش إلى التّأثير في المستقبل القريب منه والبعيد، ومن ثمّ فنحن نضيف إلى أعمارنا إذا وَعينا تاريخنا أعمار الأقدمين ونُسهم كذلك في زيادة أعمار الأجيال القادمة، بما نضعه على دروبها من أضواء، وما نقدّمه لتجاربها وخبراتها من إضافات"[83].

5.ابن باديس والكتابة التّاريخيّة:

بالعودة إلى ما خلّفه الشّيخ عبد الحميد بن باديس من موروث ثقافي متنوّع، خاصّة ذلك الكمّ الهائل من المعلومات التّاريخيّة الذي حفظته صحافته، وإلى القيمة التي أعطاها للتّاريخ حتّى شبّهه بالحياة، فسمّاه بحياة الأمم، ما يجعلنا نتساءل عن مدى إسهاماته في تدوينه؟.

وللإجابة عن الإشكاليّة وجب أوّلا الوقوف على مفهوم التّاريخ، والكتابة التّاريخيّة والمؤرّخ، فالتّاريخ وحسب كلّ اللغات العصريّة، ومنذ القرن الثّامن عشر ميلادي قد حمل معنيين، الأوّل وهو سلسلة الوقائع الماضية، والثّاني يعني الكيفيّة التي تسرد فيها تلك الوقائع سواء مشافهة أو كتابة، حيث أنّ كلّ حدث– كما ذكر المفكّر عبد الله العروي– يصبح حدثا عندما يوصف، حتّى بالنّسبة للمعاصر المشاهد له[84]، والمؤرّخ قد تعني أيضا المحترف

المتخصّص الذي تخرّج من الجامعة، وعني بكتابة التاريخ، كما قد يكون " الإنسان بما هو كائن في التّاريخ، واع به ذاكر لمتغيّراته"[85]، وعموما فالمؤرّخ لا يعرّف بالمهنة أو بالموضوع المدروس أو بالأسلوب، بل بتلك العمليّة التي نعتها ابن خلدون بالنّظر والتّحقيق، فيصبح المؤرّخ فيها ناظرا محقّقا[86]، أمّا الكتابة التّاريخيّة فهي شكل من التطوّر التّقني والتّنظيم الثّقافي الذي يحصل في حضارة ما، وما يميّزها هو كونها تتحرّى الحقيقة التي بواسطتها يقترب التّاريخ من المعرفة العلميّة، لأنّ المعرفة التّاريخيّة حسب المؤرّخ الفرنسي بول فين(Paul Veyne) هي مجموعة من الوقائع، بينما العلم هو معرفة القوانين[87].

وعليه ومن خلال هذه المفاهيم، وما سبق ذكره عن علاقة الشيخ ابن باديس بالتّاريخ، ورؤيته المعرفيّة والقيميّة له، نلاحظ أنّه ساهم ولو نسبيّا في تحليل الكثير من الأحداث والوقائع العربيّة الإسلاميّة التي سبقت زمانه، خاصّة وأنّه كان متأثّرا بالفكر الخُلدوني، الذي برز جليّا في مواضع عدّة من كتاباته[88] من جهة، وفي حفظ وكتابة جزء هام من تاريخ الجزائر المعاصر الذي عايشه، وكان صانعا لأحداثه، باعتباره كان رجل علم ودين وإصلاح وسياسة من جهة أخرى، فقد أبرزت أدبيّاته ذلك الارتباط الذي طالما أشار إليه المؤرّخون بين التّاريخ والسّياسة والفكر والعمل، وهو ما يتناسب وقاعدة المدرسة الفلسفيّة التي تقول بأنّ " كلّ فاعل في حقل التّاريخ يذكر من وقائع الماضي ما يعينه على تحقيق أغراضه"[89]، فمختلف الأحداث الغابرة التي استشهد بها الشيخ ابن باديس، سواء الإسلاميّة منها أو الإنسانيّة عامّة، كانت بغرض تنوير البصائر، وبعث الهمم في نفوس الجزائريين لاسترجاع أمجادهم، والذّود عن حماهم، وحتّى تلك التي عاصرها وكتب، وأرّخ عنها، في بلاده أو في غيرها من بلدان المغرب كتونس والمغرب وطرابلس الغرب، والتي هي اليوم عبارة عن تاريخ يَرجع إليه الباحثون والدّارسون في مختلف أبحاثهم التّاريخيّة، إنّما كانت صورة من صور مقاومته للاستعمار الفرنسي وتصدّيه لسياساته التّهديميّة والتّضليليّة.

ومنه يُمكن القول أنّ ابن باديس لم يؤرّخ لكلّ تلك الأحداث من منطلق التّأليف أو الكتابة التّاريخيّة، ولعلّ ما يؤكّد ذلك إجابته لما سُئل عن عدد الكتب التي ألّفها قائلا: " لقد شغلني تأليف الرّجال عن تأليف الكتب"، غير أنّ ذلك لا يمنع من تثمين ما ساهم به في تذكير الجزائريين بالوقائع الغابرة، وتوثيق مختلف الأحداث والتطوّرات الوطنيّة، وكما قال

المفكّر عبد الله العروي: فإنّ كبار المؤرّخين كانوا بالفعل رجال تاريخ بمعنًى مزدوج، رجال سياسة ورجال دراسة، ذاكرين التّاريخ ومؤثّرين فيه، والمؤرّخ عندما يكون مؤرّخا حقًّا يتحوّل إلى فاعل، وعندئذ لا يمكن فصل النّاظر عن المنظور، والواضع عن الموضوع[90].

خاتمة:

في نهاية هذه الدّراسة يمكن عرض خلاصتها كالاتي:

1. كان اهتمام الشيخ عبد الحميد بن باديس بالتّاريخ وحرصه على تنمية الوعي به لدى الجزائريين دلالة على إدراكه العميق بخبايا الاستعمار وأغراضه، وأنّ الحرب معه لم تكن حرب سلاح، بقدر ما كانت حرب إيديولوجية، ومعركة هويّة وانتماء وإثبات وجود واستمراريّة في البقاء.
2. الوعي بالتاريخ عند ابن باديس هو إعادة بعث التّراث التّاريخي، وإحياء الذّاكرة الوطنيّة، والمفاصلة مع الاستعمار، وأطروحاته التضليليّة، لتنمية الشّعور بالانتماء الحضاري، والعمل على تشييد المستقبل، لأنّ الوعي بالتاريخ تتجاوز فائدته وثمراته حدود الاستفادة منه في حياتنا الحاضرة، وبناء واقعنا المعاش إلى التّأثير في المستقبل القريب منه والبعيد.
3. إنّ ابن باديس وإن لم يؤلّف في مجال التّاريخ، كما ألّف غيره من علماء الجمعيّة كالأستاذ مبارك الميلي، والأستاذ أحمد توفيق المدني، إلّا أنّه ساهم بشكل أو بآخر في حفظ أحداث الفترة التي عاصرها بل وتحليلها تحليلا يتماشى والظّرفيّة الزّمانيّة والمكانيّة، وهي تعدّ من أهمّ وأخطر الحقب الزّمنيّة التي عاشها الجزائريّون، والتي طُرحت فيها الكثير من القضايا الجوهريّة التي مسّت الوطنيّة، والهويّة والقوميّة والعروبة والإسلام، والوحدة، والإدماج، والاستقلال، والحريّة.
4. تبقى الكتابات التي سلّطت الضّوء على موضوع التّاريخ والكتابة التّاريخيّة عند ابن باديس تحتاج إلى الغوص فيها أكثر، بغية الوقوف على خبايا ومميّزات الفكر التّاريخي عند مفكّر بمكانة العلّامة عبد الحميد بن باديس، والاستعانة بتصوّراته وتحليلاته للقضايا التي تهمّ بناء الذّات الجزائريّة، وتطوير الوطن الجزائري وإنمائه.

الهوامش:

[1]. عبد الرحمان شيبان: **مقدّمة مجلّة الشّهاب**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص119.

[2]. عبد الرّحمان بن خلدون: **مقدّمة ابن خلدون**، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004، ص92.

[3]. عبد الرحمان شيبان: المرجع السابق، ص120.

[4]. نفسه.

[5]. مولود عويمر: **عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار**، ط2، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2016، ص 56.

[6]. عبد الحميد بن باديس: " العرب في القرآن"، **مجلة الشهاب**، ج2، م15، قسنطينة، مارس 1939، ص70.

[7]. محمد عمارة: **الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ**، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 1997، ص34.

[8]. مولود عويمر: المرجع السابق، ص 56.

[9]. ولد بتونس العاصمة في 27 فيفري 1865، التحق بمدرسة الصّادقيّة سنة 1875 وحفظ ما تيسّر له من القرآن الكريم، وأخذ بعض العلوم من الزّيتونة أرسل في بعثة لفرنسا (1880-1881) لدراسة الهندسة والرياضيات، تقلّد مناصبا في الدّولة التّونسيّة منها مترجما بالوزارة الكبرى، ثمّ رئيسا لقسم المحاسبة في الكتابة العامّة التونسيّة، ثمّ عيّن رئيسا لجمعيّة الأوقاف منذ 1892، ثمّ واليا على مدينة سوسة سنة 1908، أسّس سنة 1888 جريدة الحاضرة، وفي 1896 المدرسة الخلدونيّة التي كان أول رئيس لها، ساهم في إعداد عدّة مشاريع خيريّة فسمّاه التّونسيّون ولقّبوه بأب النّهضة التّونسيّة، أصيب بمرض أواسط شهر أفريل 1917، ثمّ توفّي على إثر عمليّة جراحيّة 1917. **ينظر**: حمادي الساحلي: **حركة الشّباب التونسي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2016، ص23-31.

[10]. عبد الحميد بن باديس:" في تونس العزيزة"، **مجلة الشهاب**، ج10، م12، قسنطينة، جانفي 1937، ص 227.

[11]. محمّد عمارة: المرجع السابق، ص34.

[12]. **مجلّة الشهاب**، ج01، م11، قسنطينة، أفريل 1935، ص 55.

[13]. **جريدة الصّراط السويّ**، ع04، السنة 01، قسنطينة، 01 أكتوبر1933، ص10.

[14]. عبد القادر فضيل، ومحمد الصالح رمضان: **إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس**، د. ط، دار الأمّة، الجزائر، 2012، ص 260.

[15]. **جريدة الصراط السويّ**، المصدر السابق، ص10.

[16]. **مجلة الشّهاب**، ج11، م12، قسنطينة، جانفي 1937، ص 476.

[17]. عبد الحميد بن باديس: " إصلاح التّعليم بجامع الزّيتونة عمّره الله"، **مجلّة الشهاب**، ج01، م07، قسنطينة، أكتوبر 1931، ص601-605.

[18]. أحمد الخطيب: **جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص208-209.

[19]. مولود عويمر، المرجع السابق، ص59.

[20]. مجهول:" تعليم الأولاد سعادة البلاد"، **مجلة الشهاب**، ج01، م14، قسنطينة، 20 أفريل 1938، ص11.

[21]. تركي رابح:" عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر الحديثة"، **مجلة العربي**، ع137، الكويت، 01 أفريل 1970، ص103.

[22]. عيسى عمراني: **المدرسة الباديسية ومناهجها الدراسيّة**، د. ط، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص 97-98.

[23]. عمار بن مزور: **عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدّعوة والإصلاح**، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2015، ص 173.

[24]. **المنتقد** جريدة أسبوعيّة تهدف للإصلاح الدّيني، صدر العدد الأوّل منها في 02 جوان 1925 بقسنطينة، ظهر منها 18 عددا، وكان العدد 19 جاهزا غير أنّه حجز ومنعت الجريدة من الظهور، أسّست الجريدة من طرف جماعة من الشبّان المسلمين، كان مديرها الإداري أحمد بوشمّال والمتصرّف عمّور

بن أحمد، ومحرّروها عدّة، على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، والمولود بن الصدّيق، والطيّب العقبي، ومحمّد الهادي السّنوسي، وأبو اليقظان ومبارك بن محمّد الميلي وغيرهم ، وقد لخّصت الجريدة خطّتها في أنّها " جريدة مستقلّة وطنيّة تعمل لسعادة الشّعب الجزائري بمعاونة فرنسا الديمقراطيّة "، صدر آخر عدد منها في 10 ربيع الثاني 1344 هـ / 29 أكتوبر1925 م . **ينظر**: زهير إحدّادن: **بيبلوغرافيا الصّحافة الجزائريّة**، ج1 (الصّحافة الإسلاميّة الجزائريّة من بدايتها إلى 1930)، د. ط، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986، ص 38.

[25]. **جريدة المنتقد**، ع01، قسنطينة، 02 جويلية 1925.

[26]. صدر العدد الأوّل من **الشّهاب** في 12 نوفمبر 1925 في شكل جريدة أسبوعيّة، وفي سنتها الرّابعة واجهت أزمة ماليّة، تحوّلت على إثرها إلى مجلّة شهريّة برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبعد تأسيس جمعيّة العلماء في 05 ماي 1931 أصبحت لسانها الناطق، واستمرّت في الصّدور بما حوته من مواضيع ثقافيّة ودينية واجتماعية وسياسيّة وفكريّة متنوّعة إلى غاية عشية الحرب العالميّة الثّانية 1939 ، أين أصدر الوالي العام الفرنسي أمرا بتعطيل عدد شهر أوت 1939، فكان ذلك آخر اعدادها. **ينظر**: محمد ناصر: **الصّحف العربية في الجزائر 1847–1954**، ط2، ألفا ديزاين، الجزائر، 2006 ص64-68.

[27]. تركي رابح: **الشيخ ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، ط5، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2000، ص266.

[28]. محمد ناصر: المرجع السابق، ص65.

[29]. **مجلة الشهاب** ج1، م11، المصدر السابق، ص31-32.

[30]. نفس المصدر، ص36.

[31]. أديب وشاعر وصحفي مصري، ولد بسنتريس بالمنوفية بمصر، حوالي 1892م، من أبرز مؤلفاته ديوان ألحان الخلود، توفي سنة 1952م. **ينظر**: أنور الجندي: **زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه 1892–1952**، د. ط، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص09.

[32]. **البلاغ الجزائري** جريدة علميّة، إرشاديّة، دفاعيّة، أسّسها أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليويّة، صدر عددها الأول في 24 ديسمبر 1926، بمدينة مستغانم مقرّ الطّريقة، تعاقبت على رئاستها عدّة شخصيّات منهم حدوني محمد بن محي الدين، عدّة بن تونس، والأخضر عمروش، توقّفت عن الصّدور سنة 1943. **ينظر**: محمد ناصر: المرجع السّابق، ص87.

[33]. مجهول:" القوميّة في نظر الفرنسيين"، **مجلة الشهاب**، ج9، م11، قسنطينة، ديسمبر 1935، ص517.

[34]. **مجلة الشهاب**، ج7، م13، قسنطينة، سبتمبر 1937، ص319.

[35]. نفس المصدر، ص 320-321.

[36]. مولود عويمر: المرجع السابق، ص62-63.

[37]. مجهول: " تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، **مجلة الشهاب**، ج2، م12، قسنطينة، ماي 1936، ص 102-103.

[38]. مجهول:" نظرة في كتاب بلاغة العرب بالجزائر"، **جريدة الشّهاب**، ع26، السنة01، قسنطينة، 13 ماي 1926، ص 15.

[39]. مجهول: " نظرة في كتاب بلاغة العرب بالجزائر"، **جريدة الشّهاب**، ع29، السنة 01، قسنطينة، جوان 1926، ص14.

[40]. **مجلة الشهاب**، ج1، م11، المصدر السابق، ص 64.

[41]. حسن علي: **هذه هي إسرائيل**، د. ط، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، د.ت، ص 90.

[42]. فايز جابر: **الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة**، ط1، دار البيرق للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1981، ص ص 185-194.

[43]. أحمد الأشقر:" **ماذا** يتعلّم الطلّاب العرب في المدارس الإسرائيليّة؟"، **مجلّة الجيل**، ع3، م10، بيروت، 1989، ص 33-34.

[44]. عبد الحميد بن باديس:" خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، **مجلة الشهاب**، ج8، م12، قسنطينة، نوفمبر 1936، ص358.

[45]. مجهول:" النصّ التّقريبي لكامل التقرير الأدبي الذي ألقاه سماحة الأستاذ عبد الحميد بن باديس بدار جمعية التربية والتعليم 1358هـ"، **جريدة البصائر** ع171، السنة 4، الجزائر، جوان 1939، ص05.

[46]. Anonyme :"L'Algérie d'un siècle à l'autre " , **l'écho de Bougie** , A29, N1716,06jouillet 1930,p1.

[47] . Anonyme:" le centenaire de la conquete de l'Algérie ",**l'écho de Tiaret**,A 22, N 1004,Tiaret,12 janvier 1929 , p 01.

[48] . Anonyme: " calenderier du centenaire de l'Algérie ",**l'écho de Tiaret**,A 23, N 1057,Tiaret,18 janvier 1930 , p 01,02.

[49]. عبد الرحمان شيبان: المرجع السابق، ص116.

[50]. نفس المرجع، ص 117.

[51]. Abdelkader Yefsah: **Le processur de légitimation pouvoir militaire et la construction de l'état en Algérie**, édition anthropos,paris, 1982, p17.

[52]. **جريدة البصائر**، ع171، السنة 04، المصدر السابق، ص05.

[53]. عيسى عمراني: المرجع السابق، ص97.

[54]. أندري ديرليك: **عبد الحميد بن باديس مفكّر الإصلاح وزعيم القوميّة الجزائرية**، د.ط، عالم الأفكار، الجزائر، 2013، ص 266.

[55]. عيسى عمراني: المرجع السابق، ص 97.

[56]. مالك بن خليف: **الفكر السياسي عند العلّامة عبد الحميد بن باديس**، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2010، ص 393.

[57]. **مجلة الشهاب**، ج12، م13، قسنطينة، فيفري 1938، ص510.

[58]. نفسه.

[59]. عبد الرحمان صدقي :" الوطن هو تاريخ الوطن"، **مجلة الشهاب**، ج7، م13، المصدر السابق، ص 312.

[60]. عبد الحميد بن باديس:" ما جمعته يد الله لا تفرّقه يد الشيطان" ، **جريدة لبصائر**، ع03، السنة 01، الجزائر، 17 جانفي 1936، ص 02.

[61]. محمد الميلي: **الشيخ مبارك الميلي حياته العلميّة ونضاله الوطني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص47.

[62]. **مجلة الشهاب**، ع26، السنة 01، المصدر السابق، ص04.

[63]. أندري ديرليك: المرجع السابق، ص269 .

[64]. نفس المرجع، ص268-269.

[65]. **مجلّة الشّهاب**، ج3، م12، قسنطينة، جوان 1936، ص123.

[66]. محمّد ملين:" التاريخ"، **مجلة المغرب**، السنة 04، ع أفريل 1935، ص16.

[67]. محمد مصطفى صفوت: " أهميّة دراسة التاريخ" ، **مجلّة الرّسالة** ، ع499، مصر، 25 جانفي 1943، ص69.

[68]. " تقرير عبد الحميد بن باديس بدار جمعية التربية والتعليم"، **جريدة البصائر**، ع171، السنة 4، المصدر السابق، ص05.

[69]. محبّ التاريخ:" التاريخ يحفظ لنا مآثر الاسلام"، **جريدة الميدان**، ع21، السنة1، 14نوفمبر 1937، ص03.

[70]. Abdelkader Yefsah: op.cit,p17.

[71]. مجهول: " إحياؤنا بإحياء ماضينا"، **مجلة الشهاب**، ج7، م13، المصدر السابق، ص314.

[72]. محمّد مصطفى صفوت: المرجع السابق، ص 70.

[73]. **مجلة الشهاب**، ج2، م13، قسنطينة، 13 أفريل 1937، ص01-02.

[74]. عبد الحميد بن باديس: " الرقي الفردي والرقي الجماعي أيهما أسبق"، **مجلة الشهاب**، ج5، م6، قسنطينة، جوان 1930، ص310.

[75]. مجهول: " إلى علماء الزيتونة"، **مجلة الشهاب**، ج1، م12، قسنطينة، أفريل 1936، ص04.

[76]. محمد مصطفى صفوت: المرجع السابق، ص 69.

[77]. باعزيز بن عمر: **من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي**، ط2، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص38.

[78]. محمد مصطفى صفوت: المرجع السابق، ص 69.

[79]. نفس المرجع، ص70.

[80]. تيضامي محمّد التهامي:" عظماء الرّجال وشغف النّاس بهم"، **جريدة المنتقد**، ع02، قسنطينة، 09 جويلية 1925، ص22.

[81]. محمد مصطفى صفوت: المرجع السّابق، ص 70.

[82]. مجهول: " علماء الدّين والسّياسة"، **مجلة الشّهاب**، ج11، م12، قسنطينة، جانفي 1937، ص479.

[83]. محمد عمارة: المرجع السابق، ص33.

[84]. عبد الله العروي: **العرب والفكر التاريخي**، ط 5، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص77

[85]. عبد الله العروي: **مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب**، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص42

[86]. نفس المرجع، ص45

[87]. عبد الله عبد اللاوي:" مهنة المؤرّخ في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، المعرفة، السلطة والتمثّلات"، **مجلّة البحرين الثّقافيّة**، ع38، البحرين، 01 مارس 2004، ص30-34.

[88]. مولود عويمر: المرجع السابق، ص61.

[89]. نفس المرجع، ص45.

[90]. نفسه.